القرينة الخارجية وإثرها في فهم النص القرآني
الأيقونة اختياراً

م.د ضحى أكرم بدري

جامعة بابل

كلية العلوم الاسلامية

خلاصة البحث

اختار البحث بعض النماذج التي تدل على الأيقونة من وجهة نظره والمراد بالأيقونة هي صورة النص التي تشتمل على كثيرٍ من أغراضه الكونية والعقدية والتشريعية والمعرفية لتحقق مراميه الدعوية في التوحيد وقدرة الله ونظام الخلق... فالبحث يعد القرينة الخارجية المتمثلة بالأيقونة لها أثر كبير في فهم النص القرآني فالتناسق في شكل النص أو التباين في حجم رسم النص له اثر في فهم النص لمجرد النظر إلى النص فمثلاً النصوص التي تحدثت عن الجنة نجدها متناسقة بالشكل لأنها تدل على النعيم الإلهي ولكن النصوص التي تدل على الجحيم تبدأ قصيرة ثم تكون ذات سياق طويل.

فوجد البحث أن القرينة الخارجية المتمثلة بالأيقونة لها أثر كبير فهم النص لدى المتلقي هذا بحد ذاته دليل عل وحدانية المدبر الخالق عز وجل. وهذا دليل على التعددية والتنوع والاختلاف في خلقه وهذا يدل على عظمة الخالق وحكمته والتجدد والاستمرار بأن القرآن الكريم باقٍ وأزلي ويحتاج المفسرون إلى آليات جديدة لفهم النص لتواكب الطفرات العلمية في العالم التجريدي.

Research summary

The research chose some models that indicate the icon from his point of view. What is meant by the icon is the image of the text that includes many of its universal, doctrinal, legislative and cognitive purposes in order to achieve His preaching goals are monotheism, the power of God, and the order of creation... The research considers the external evidence represented by the icon to have a major impact on understanding the Qur'anic text. Consistency in the form of the text or variation in the size of the text has an impact on understanding the text. By simply looking at the

text, for example, the texts that talked about Paradise, we find them consistent in form because they indicate divine bliss, but the texts that refer to Hell start out short and then have a long context. The research found that the external context represented by the icon has a significant impact on the recipient's understanding of the text. This in itself is evidence of the oneness of the Creator, the Almighty, and his uniqueness from the rest of his creatures, and evidence of pluralism and The diversity and difference in His creation, and this indicates the greatness and wisdom of the Creator, renewal and continuity, that the Holy Qur'an remains eternal, and interpreters need new mechanisms to understand the text to keep pace with scientific breakthroughs in the abstract world

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول رب العالمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

اعتماداً على القرائن الخارجية للنص القرآني وتأسيساً لقوانين لا تفتقر إلى محصلة اجراءاتها. اتجهت الأساليب النظرية التفسيرية إلى ارتكاز على منتج النص ورأت فيه المنتج الحقيقي والفاعل فالقرينة الخارجية لها أثر فاعل وكبير في فهم النص فالأيقونة هي صورة النص التي تعطي إيحاءً للمتلقي بتحقق المعنى المراد من النص، وهذا يعتمد على بيئة المتلقي والأبعاد الفكرية لدية فيكون فهم الأيقونة فيه اختلاف من شخص إلى آخر.

ولهذه الأسباب دعتني الحاجة الضرورية إلى البحث في القرينة الخارجية التي تمثلت بالأيقونة في القرآن الكريم ومن الصعب جداً على البحث إحصاء كل أيقونة لهذا اكتفى البحث بعشرة نماذج مستعيناً ببعض المفسرين.

تعريف بالمفاهيم:

يُؤرَّخُ لهذا المصطلح –القرينة-استعماله عند الرماني ت(348) في النص الذي نقله عنه الشيخ الطوسي(460هـ) أي في القرن الرابع الهجري كان أول ظهور للمصطلح.[1]

وقبل هذا كان القدامى يستعملون ألفاظاً أخرى كـ(الآية والامارة) و الدليل الذي يستعمله سيبويه يقوم مقام القرينة؛ لأنهما يشتركان في المعنى، وهو دلالة على المراد.[2]

القرينة لغة:

ذهب الخليل إلى أن قرينك صاحبك الذي يقارنك. وقرينة الرجل: امرأته [3]، وهي على وزن فعيلة بمعنى مفعوله، من الاقتران وهي تدل على الصاحب والملازم والقران الجمع والضم.[4]

وقال الجرجاني: هي مأخوذة من المقارنة، وتجمع على قرائن على وزن مفاعل، أي قرن الشيء بالشيء، شدّة إليه ووصله وهي أمر يشير إلى المطلوب.[5]

القرينة اصطلاحاً:

تناولت العلماء القرينة بحسب الحقل المعرفي الذي جاء به النص كمركزية في تعامل معه فاللغوي كان له رأي بذلك والأصولي أيضا والمفسر والمحدث ووضعوا له شروطا ومن هذه التعريفات:

القرينة في اصطلاح اللغويين

الأمر الدال على الشيء من غير الاستعمال فيه[6] ، أي عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية [7] ، هو أن القتران كالإزدواج كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني[8] وأن القرينة ما يبين معنى لفظ ويفسره[9] ومن المعاصرين من عرف القرينة بأنها كل أمارة ظاهرة تقارن شيئا خفيا فتدل عليه، أي هي الدليل الذي يصاحب النص فيكشف معناه، سواء أكان لغويا أم حاليا أم عقليا.

فهنا القرينة تعكس حال المتكلم عند اللفظ وإيصال المعنى وهي على أقسام:

أقسام القرائن

1- القرينة اللفظية: وهي التي يتمكن القارئ من خلالها معرفة اللفظ وموقعه، أي هي الذي يدل على المعنى المقصود، ولولاه لم يتضح المعنى.[10]

وتشمل: العلامة الاعرابية والرتبة ومبنى الصيغة والمطابقة والربط والتضام: هي القرائن التي تتعلق بالتركيب ولا تتعلق باللفظ المفرد وقد سمّاها تمام حسان بـ(القرائن العقلانية)[11].

2. القرينة المعنوية: وهي العلاقة التي تربط ما بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصر والتي تتضح من المنطق العقلي.

3. القرائن الحالية: كل ما أحاط بالخطاب وأثر على دلالته بالتأكيد أو التكميل أو التأويل أو التفسير أو الترجيح فنلحظ مدى العموم والاتساع الذي تتسم به القرينة الحالية[12] ، وعلى هذا الأساس وضع علماء الأصول أنواعاً لها:

أ. حال الخطاب: والمقصود به موضوع الخطاب أو هو حال ما يخبر عنه الخطاب.

ب. حال المتكلم: ويقسم إلى:

1. المعرفة بالحال المعهودة: هي الخبرة بالمتكلم فبقدر ما تزيد هذه الخبرة تزداد القدرة على فهم الكلام على وجهه الصحيح.

2. المعرفة بالحال الطارئة للمتكلم: فتضم هذه المعرفة ثلاثة أمور:

أ. المعرفة بهيئة المتكلم الطارئة له وقت إنشاء الخطاب لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف.[13]

ب. المعرفة بالدور الاجتماعي الذي يمثله المتكلم وقت إنشاء الخطاب.[14]

ت–حال المخاطب: وتقسم إلى قسمين:

1. المعرف بالحال المعهودة له: فهي المعرفة بتوجيهات المخاطب وتصوراته ومقاصده وصفاته القولية والفعلية.

2. المعرفة بالحال الطارئة للمخاطب عند الخطاب: فهي المعرفة بحاله قبل وبعد توجه الخطاب اليه وبعد ذلك.

ج. بيئة الخطاب: هي تأثير البيئة على دلالة الألفاظ وفهم معانيها وقد ركز أكثر الأصوليين على ضرورة تدبر النص الشرعي في ضوء البيئة إذ يتأثر النص بالعادات والأعراف التي كانت جارية في عصر الرسالة إذ اتفقوا على تخصيص اللفظ العام بمقتضى العادة القولية كتخصيص لفظ الدابة بذوات الأربع[15]، ولكن الشاطبي وَعُدَّ من المغالين الذي قالوا بتأثير البيئة على النص[16]، ويرى البحث أن البيئة وثقافة المتلقي تؤثر على فهم النص وليس على النص نفسه ، أي من محيط ذلك النص.

د. سبب الخطاب: ويقصد به الأمر الخارجي الذي اقتضى صدور الخطاب وهو ما يعبر عنه (سبب النزول)

القرائن عند المفسرين

وهي الأمارة التي تدل على أمر خفي مصاحب لها بواسطة نص أو عرف أو سنة أو غيرها.

أو هي (ما يوضح عن المراد لا بالوضع وتؤخذ من لاحق الكلام الدال على الخصوص المقصود أو سابقه) [17] لا يختلف المفسرون عن اللغوين والأصوليين في تقسيم القرائن.

أهمية القرائن: -

1- تسهم القرينة بشكل كبير في بيان مراد الله تعإلى.

2- تُعَدُّ القرينة دليلاٌ شرعياً تعلق بالدليل المراد بيانه كأن تكون آية أخرى.

3- توضح المبهمات من الأحكام.

4- دفع التعارض الظاهري بين الأدلة.

5- وأن العمل بالقرائن يُعَدّ امتثالاً لأمر الله تعالى.

القرينة الخارجية:

هو بيان منفصل رابط يصاحب الكلام ويدل على المراد، فهي الظروف المحيطة بالمتكلم والمتلقي والامور المستمدة من المشاهدة الصادقة الدائمة والاستدلال العقلي والمنطقي.[18]

النص لغة: النصُّ: رفعُكَ الشيء، ونص الحديث نصه نصاً، .... والنصُّ اقصى الشيء وغايته[19]، والنصُّ الشيء أظهره وكل ما ظهر فيه فقد نص...[20]، ولهذا نجد الشريف الجرجاني يعرف النص بقوله: (ما زاد وضوحا على الظاهر لمعنى المتكلم سوق الكلام لأجل ذلك)[21] ، فهو صيغة الكلام الاصلية وما لا يحتمل الا معنى واحدا، ولا يحتمل التأويل[22]

أما اصطلاحا: فبما أن النص لا يمكن إدراكه بسهوله إلا عبر الوعي لأنه الأساس الذي تشكلت فيه المفاهيم، ولأن النص يشبع حواسنا فلابد من إدراك يفحص هذه الرغبات التي تعمل بذواتنا، فالنص هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة المستدل به على حكم الأشياء[23] ، أي إن النص هو مجرد لفظ الكتاب والسنة[24] ، إذ إن القدامى استعملوا لفظ النص فقط فيما يخص القرآن والسنة.

أو هو الخطاب، فدلالة النص هنا لا تخدم إلا غرضا فقهيا تفسيريا ليصبح مصطلحا له ميدان اشتغال جديد وهو علم الأصول الذي يتجول فيه بحرية، إذ يرد بمعنى الدليل الشرعي، ومعروف أنه لا اجتهاد في موضع النص أي (القرآن الكريم) .فالنص هو المرجع الوحيد الواضح الذي تستنبط منه أدلة الأحكام[25] ، وبذلك يمكن أن يعرف بأنه منظومة(دلالية متشابكة لها حقائق في الواقع والعيان)[26] ، وهذا ما يتناسب مع قدسية النص القرآني. كما عُرف النص بانه سياق اجتماعي يتجه نحو المستقبل (فالنص منظومة لغوية يتجه بها الكلام إلى المستقبل)[27]

لقد احتل النص الديني في الثقافة الإسلامية مركز الدائرة واعتبر الكشف عنه كشفا عن آليات إنتاج المعرفة، لأن النص الديني هو المولد لكل النصوص الأخرى التي يمكن أن تشكل منظومة الثقافة الإسلامية[28] ، فلا يمكن القبول مطلقا بأي تنظير إسلامي ما لم يعتمد على النص الديني الذي يتمحور بين

ركيزتين لا ثالث لهما ، النص القرآني ونص المعصوم عليه السلام وعند المذاهب الأخرى نص النبي (صلى الله عليه وآله) ونص الصحابي .

ولا شك في أن النص القرآني (لا يزال يلعب دور المرجعية العليا المطلقة في المجتمعات العربية والإسلامية ولم تحل محله أي مرجعية آخرى حتى الآن، إنه ((المرجعية المطلقة التي تحدد للناس ما هو الصح وما هو الخطأ وما هو الشرعي))[29]، والنص القرآني يحمل بين طياته أدواته الخاصة ، وقد تشكّل اللغة مع المعنى شبكة خاصة تمثل القرآن المعصوم لفظا ومعنى، والصياغة القرآنية بما فيها الحروف والكلمات تمثل لباس المعنى[30] ، فالنص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسلهِ[31]

وقد تفرد النص القرآني بخصائص منها :

1. التناسق الصوتي على مستوى الكلمة فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المراد لها، أي يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود.[32] منها:

أ- التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة.

ب-التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة.

ت-التناسب بين الكلمات.

ث-المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعنى.

2. الدقة في الوضع واتساقها الكامل مع المعنى:

أ- الدقة في الاختيار.

ب-الدقة في المعنى.

ت–الدقة في الوصف.

ث–دقة في التصوير[33]

ولا أدل على هذا القول مما قاله الوليد بن المغيرة في هذا النص اذ يقول ((والله ما هو من كلام الجن ولا هو من كلام الإنس في شيء ان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن اعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه)) ، فهذا يدل على أن النص القرآني يؤثر في كل نفس إنسانية لأنه لا يترك نفسا إلا ويتحدث معها عن ملكة من ملكاتها المتعددة، سواء كانت فكرية عقلية أم وجدانية أم سياسية أم عسكرية...وهذا التأثير لم نجده من خلال النص الأدبي لأن المنشئ بشري[34] ، فمثلا القصة القرآنية لم تكن مجرد (اصطناع) للواقع كما هو طابع القصة الارضية بل هي تتناول نفس (الواقع) ولكن وفق عملية (اصطفائه) لحادث وشخصياته وبيئاته، إذ يتميز حتى عن بعض أشكال القصة التي عرفتها (الأرض). ويتميز النص القرآني بأنه يراعي الاستجابة البشرية فيصاغ النص وفقا لنسبة معينة من النص العاطفي الذي يستجيب لها القارئ ولذلك عندما نقول: أن (العنصر العاطفي) في النص القرآني يحتل نسبة صغيرة من مساحة النص، إنما يقصد بذلك: العنصر المتصل بالفعل للأشخاص حيال أحد المنبهات التي يتعرض إليها النص[35]

والسورة القرآنية تنصهر فيها الخطبة والمثل والنشيد والحوار والقصص والصلاة ، وعالم حضور وعالم غيب وكل ذلك يدخل في نسيج متواصل دون نقط وفواصل [36] ، والسورة من جهة بنيتها الموسيقية لها نظام إيقاعي خاص إذ يقوم على مؤلفات موسيقية غير معهودة وفيها جمالٌ لا يربط بينها غير التجاور، فالنص القرآني نغم ولا تندرج أنغامه في نسق معين أو نظام وزني ثابت وهذا ما يجعل النص حركياً ومفتوحاً[37] . هذه الأسباب وغيرها جعلت النص القرآني ذا تأثير سواء كان مسموعا أو مقروءاً بخلاف النص الادبي الذي يكون أكثر تأثيراً عندما يكون مسموعا لأن الصنيع الادبي يكون لفظا أكثر إبداعا[38].

الأيقونة:

هو دليل يحيل إلى موضوعه وفق تشابه يستند إلى تطابق خصائص جوهرية مع بعض خصائص الموضوع[39] الذي يدل عليه عن طريق الصفات التي يحملها[40] فهي أي الأيقونة علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل خاصية تمتلكها وحدها ، فالأيقون يشبه الشيء الذي يشير إليه ويشترك معه في صفة[41] ، وهي تفهم من خلال فهم نظيرها المشابه لها، وذلك كعلامات المرور والصور، ويمكن القول إنها علامة تدل على موضوعها فترسمه وتحاكيه وتشاركه بعض الخصائص المتشابهة[42] التي قد تتجاوز العلاقة المادية التي تربط الشيء وقرينه أو بين الأيقونة وما تقترن به إلى علاقة ذهنية([43]) تمثل علاقة بين المصور(الدال) والموضوع المشار إليه كأساس لتفريع تلك العلاقة التي تكون مشابهة بين المؤول و الممثل والموضوع الذي ينتقل من أجلها منه إليه[44]

فالمشابهة بعيدة عن النسخ إذ مهما حاولت أن تحاكي النموذج لا تستطيع، والمصدر الأساسي للأيقونة هو الذهن لأنّ العلاقات الإيحائية الذهنية غالبا ما تسبق المادة، فهي سلسلة من الرموز تؤسس هيكلها من خلال نسبها وعلاقاتها الخارجية مع الشيء والحدث[45] ، والطريق الوحيد المباشر لتوصيل أي فكرة قد يسمى أيقونا أدنى ، أي دون الأيقونة ، وهي أيقونات يمكن أن تكون منحرفة تقريبا تبعا لنمط الأولية لما يشاركها[46] ويكون مناط العلاقة بين الدال والمدلول هو التشابه الواقعي .

وقد يعّبر عن الأيقونة بأنّها تعتمد دائما على خصائص الوسيط الذي يعطي الشكل،[47] ، فهي إعادة كتابة الواقع، والكتابة، بالمعنى المحدود للكلمة، هي حالة جزئية[48] ، فهي تدل على موضوعها من جهة إنها ترسم أو تحاكي الأيقونة الدينية نتاجا وعلى مستوى الفن المرئي، وهي تمثل من وجهة نظر أخرى شخصيات مقدسة قد يبجلها المؤمنون باعتبارها صوراَ مقدسة[49] ، وهو ما يمكن أن يسمى المفردة الفنية.

ويمكن رصد ما جاء بهذه العناصر بداخل الأيقونة بعشرة امثلة:

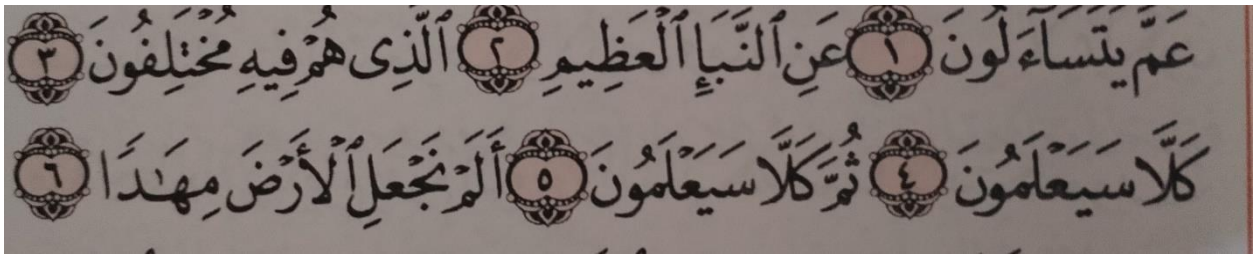

[50] ، نجد في هذه الأيقونة في سورة النبأ العناصر متداخلة ومكونة وحدة موضوعية فالإنكار عن التساؤل في قوله تعإلى : (عمَّ يتساءلون)، أي تساؤل عن يوم القيامة أو عن أيّ شيء يتساءل المكذبون بآيات الله عزَّ وجلَّ، وأما التهديد بـ(كلا سيعلمون) هو تهديد شديد ووعد أكيد، أي سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون حينما يدعون إلى النار، وهذا ما يعطي النظائر بالعلامات الإيحائية لدى قارئ النص القرآني، كما وإن الوعد في قوله تعإلى:(عن النبأ العظيم) هو ذلك الخبر الموعود به الانسان على تشديد العقاب والوعد بناظره بقوله:(ثمَّ كلا سيعلمون)، وهذا التشابه يعطي دالا على تشابك هذه الأيقونة وتماسكها لعلامة إيحائية فسرت موضوعاً مصوراً بأن الناس مختلفون على هذه الارض والدليل قوله تعإلى: (الذين هم فيه مختلفون)على هذه الارض التي جعلت مهاداً لكم.

فالأيقونة علاقة طردية مع مفهوم المماثلة إذ ترمم هيكلها من خصائص الشيء المماثل أي علاقة لها بعض المشابهة مع الشيء الذي تحيل عليه.[51] فالموضوعية في هذه الأيقونة إنكار الوعد عليه والعلامة الدال على ذلك التهديد من خلال الإيحاء المصور في الأيقونة المكونة من عدة آيات.

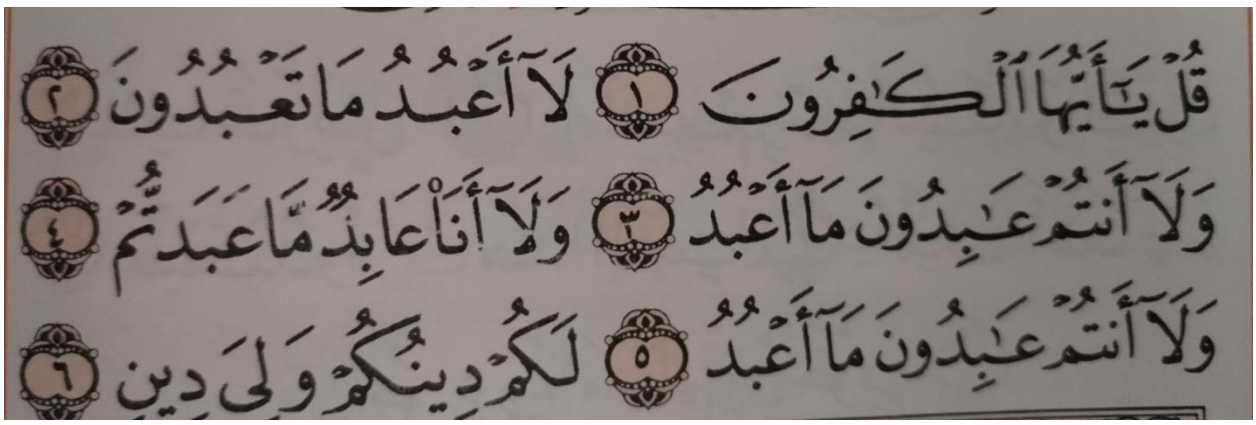

[52] ، قد يأتي التكرار والموضوع الواحد في علامة موضوعية تعطي الإيحاء مساحة خاصة كمفردة الدين في سورة الكافرون ، فالناظر إلى هذه السورة يجدها متكاملة لا تنفك عن موضوعها الخاص الذي يضفي صفة الحاضر والمستقبل المتناظر بالألفاظ والتماسك بالمعنى، فقوله عن المستقبل(قُلْ يا أيهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ...) هذا مستقبل فيكون معناه تبرؤ مما كانوا يعبدون من دون الله تعإلى اليوم وغداً، وبين النص أيضا حالة المستقبل (...ما أَعْبُدُ) أي في المستقبل لا أعبد ما أنتم عابدون من هذه الأصنام ، وأكد ذلك بقوله تعإلى: (...ما عَبَدْتُّمْ) في الماضي الذي أنتم تمارسون الآن من عبادة فاسدة غير عبادة الله عزَّ وجلَّ.

هذا ما نجد في صفة المستقبل من موضوع السورة في الأيقونة، أما الحاضر جاء بـ(...ما تَعْبُدُونَ) ومضارعيه ذلك الفعل دلالته على حالية العبادة ومستمرين فيها من الماضي إلى المستقبل وقد أبعد عنه ذلك النمط من العبادة بقوله تعإلى: (وَلا أَنا عابِدٌ) ونص الآخر:(وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ) هذه المتناظرات في موضوع الأيقونة الداخلية للنص فرزت لنا الحاضر والمستقبل في موضوع العبادة الواحدة بدليل قوله تعإلى:(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

فالتكرار هنا يفيد التأكيد لأجل التشديد وهذا التكرار يفيد الشأنية العبادة عندهم واختلافها[53] ، فالصفات في هذه الأيقونة هي العبادة في الحاضر والمستقبل ، والدلالة أفرزت الفعل المضارع الذي يفيد الحال بصفة (تَعْبُدُونَ) و(عَبَدْتُّمْ) وهو فعل ماض يفيد المستقبل، وكأن المناظرة في هذه الآيات بصيغة الازمان تدلَّ على صورة مكونة من العبادة الآنية، ولابد أن تختلف بحسب الموضوع الذي جاءت به كتب السماء على أن (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) والشأنية هنا أن الكافرين لا يؤمنوا وأن لا يعبدوا ما يعبد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو التوحيد، فالإيحاء هنا لا يعطي السلوك والعمل بل المراد (شانهم مالهم ودينهم فإن الحال والدين من اللازم الذي يصعب تعبيره وهذا اشمامٌ بالجبر)[54]

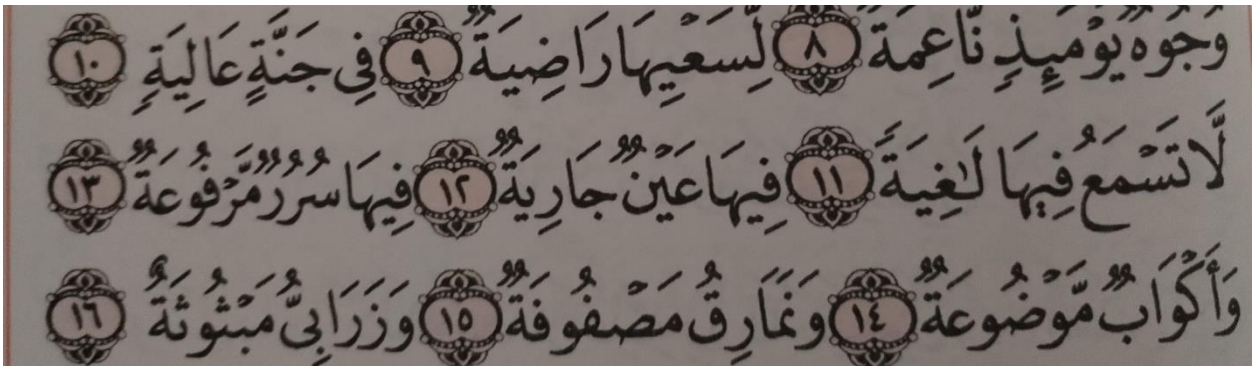

[55] ، وفي سورة الغاشية تبدو الصورة مكونة ومبنية على العمل الحسن وسعيه الذي أتبعه المؤمنون، فيكون جزاؤهم جنات فيها خيرات كثيرة، فمشهد تلك الصورة هي (تلك الوجوه) وما تحمل من دلالة إيحائية عن عمل الإنسان الذي يسعى لربه من أجل الفوز بتلك الصفات التي صورتها الأيقونة في العمل الحسن الذي فيه بهجة الوجوه، ودلالة اللام في (لسعيها) أي (لتقوية المراد بالسعي سعياً في الدنيا وبالعمل الصالح)[56] فبسطت لهم تلك المجالس من كل الجوانب.

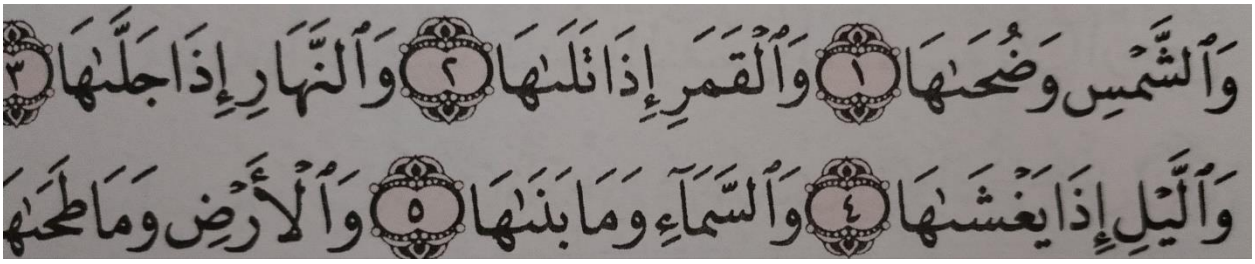

57

الضحى: هو ضوء الشمس وقيل النهار كله.[58] انبساط الشمس وامتداد النهار وسمي الوقت به انتهى. والضمير للشمس، وفي الآية قسم بالشمس وانبساط ضوئها على الأرض. بعد أن أقسم بالقمر إذا تلاها عطف على الشمس والضمير لها وقسم بالقمر حال كونه تالياً للشمس، والمراد بتلوه لها أن كان كسبه النور منها فالحال حال دائمة وإن كان طلوعه بعد غروبها فالقسم به من حال كونه هلالاً إلى حال تبدّره.ثم ذكر النهار إذا جلاّها التجلية الإظهار والإبراز، وضمير التأنيث للأرض، والمعنى وأُقسم بالنهار إذا أظهر الأرض للأبصار. فذكر الله تعالى الليل إذا يغشاها أي يغطي الأرض، وبعدها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ، طحو الأرض ودحوها بسطها، والذي بناها وطحاها هو الله تعالى والتعبير عنه تعالى بما دون من إيثار الإبهام المفيد للتفخيم والتعجيب فالمعنى وأُقسم بالسماء والشيء القوي العجيب الذي بناها وأُقسم بالأرض والشيء القوي العجيب الذي بسطها.[59]هنا دلالة ايحائية على قدرة الله في خلق الكون فهي متسلسلة حسب شكل النص الذي يوحي للمتلقي ذلك.

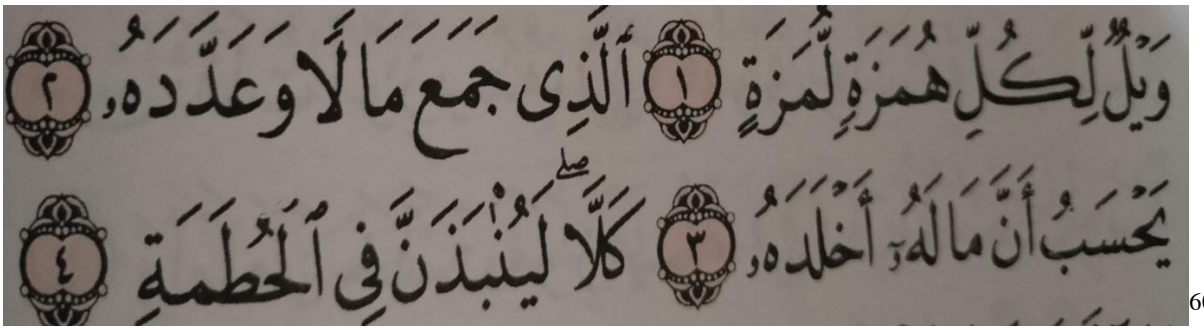
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ٤

60

سخط وعذاب من الله لكل طعّان في الناس، أكال للحومهم، مؤذ لهم في غيبتهم أو في حضورهم. ثم ذكر سبب عيبه وطعنه في الناس والذي دعاه إلى الحط من أقدار الناس والزراية بهم هو جمعه للمال وتعديده مرة بعد أخرى، شغفا به وتلذذا بإحصائه، لأنه يرى أن لا عزّ إلا به، ولا شرف بغيره، فهو كلما نظر إلى كثرة ما عنده ظن أنه بذلك قد ارتفعت مكانته، وهزأ بكل ذي فضل ومزية دونه، ثم هو لا يخشى أن تصيبه قارعة بهمزه ولمزه وتمزيقه أعراض الناس، لأن غروره أنساه الموت، وأعمى بصيرته عن النظر في مآله، والتأمل في أحواله. ثم بين خطأه في ظن هذا الهماز العياب أن ما عنده من المال قد ضمن له الخلود في الدنيا، وأعطاه الأمان من الموت، فهو لذلك يعمل عمل من يظن أنه باق حيّا أبد الدهر، ولا يعود إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سئ الأعمال. وبعد أن توعد من هذه صفاته بشديد العقاب، فقال :﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾:أي ازدجر أيها العيّاب عما خيل إليك من أن المال يخلدك .[61] فهذه السورة تعكس صوراً واقعية في كل وقت وهي صورة اللئيم الصغير النفس ثم صور الله تعالى صورة حسية من صور يوم القيامة وهي الردع، يلحظ في هذه الصورة تقابل بين الجرم وطريقة الجزاء وجو العقاب.[62]

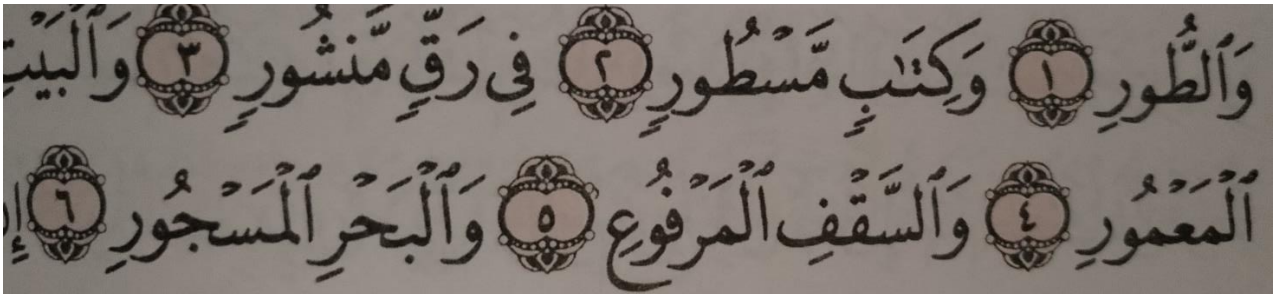
وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣ وَٱلْبَيْتِ
ٱلْمَعْمُورِ ٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ٦

63

الطور: هو الجبل ، ثم ذكر الكتاب المكتوب في ورق منشور ثم ذكر البيت الذي يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الارض ، يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه ابدا، بعد ذلك ذكر السقف في هذا الموضع : وهي السماء وجعلها سقفا لأنها سماء الارض كسماء البيت الذي هو السقف.[64] فالبحر المجري الواسع العظيم من مجاري الماء، و أصله الاتساع فالمسجور المملوء[65] .صورة النص المتناسقة بتسلسل القسم تعطي ايحاء للمتلقي على عظمة خلق الله فأقسمَ بها على شيء عظيم وهو وقوع العذاب.

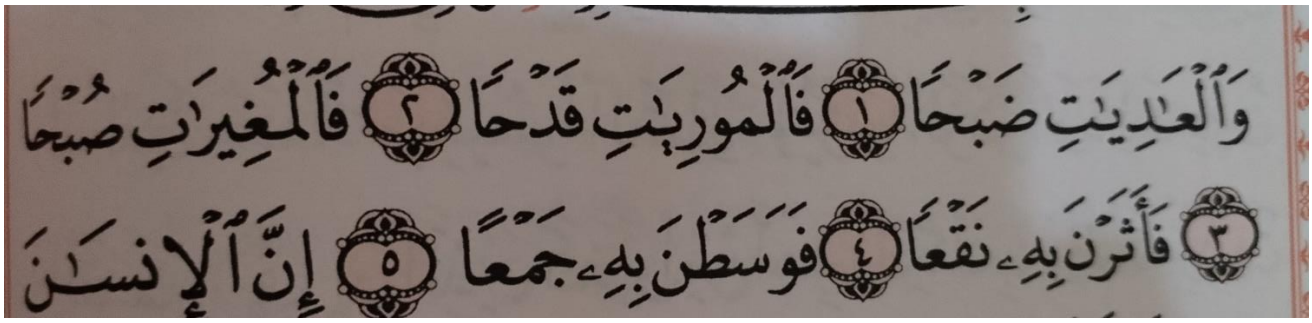
وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

66

العاديات من العدو وهو الجري بسرعة والضبح صوت أنفاس الخيل عند عدوها وهو المعهود المعروف من الخيل وإن ادعي أنه يعرض لكثير من الحيوان غيرها،[67] قسم الله تعالى بأمور منبهة محفزة وهي الخيول الجارية المندفعة المتنفسة بشدة إلى ميدان الجهاد، وهي الخيول التي توارى النار بحوافرها التي تغير العدو في الصباح فتثير الغبار وتنثره في كل جانب فتحاصر الاعداء[68] من صورة النص المبارك نجد توازناً ملحوظاً في صورته فهي تتحدث عن مشهد للخيول قبل بدء الحرب.

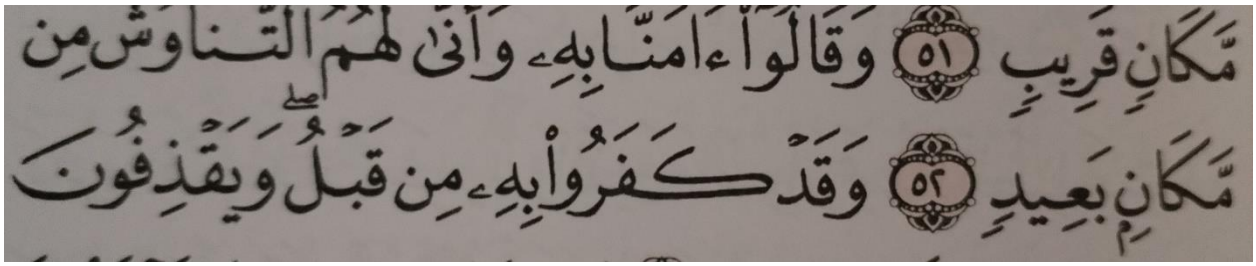
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ

69

يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه ومن أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذي الجئوا إليه، بيَّن سبحانه أنهم لا ينالون به نفعاً كما لا ينال أحد التناوش (من مكان بعيد). وقيل: معناه أنهم طلبوا المردّ إلى الدنيا فالمراد أنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب.

(وقد كفروا به من قبل) فكيف تقبل توبتهم أو يردّون إلى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) أي ويرجمون بالظن فيقولون لا جنَّة ولا نار ولا بعث وهذا أبعد ما يكون من الظن[70] التناول يعني تناول الإيمان (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)يعني بعد انقضاء زمان التكليف قال انّهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ، وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ويرجمون بالظنّ ويتكلّمون بما لم يظهر لهم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ من جانب بعيد من امره[71].

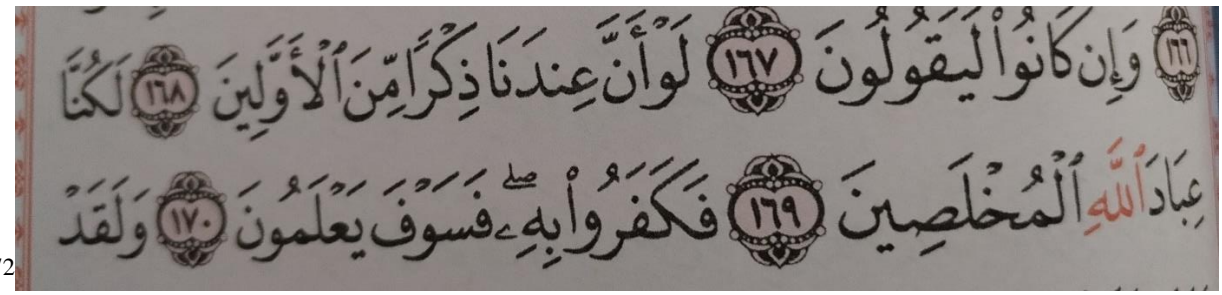
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ

72

قول كفار مكة لو أن عندنا كتاباً سماوياً من جنس الكتب النازلة قبلنا على الأولين لاهتدينا وكنا عباد الله المخلصين يريدون أنهم معذورون لو كفروا لعدم قيام الحجة عليهم من قبل الله سبحانه. وهذا في الحقيقة هفوة منهم فإن مذهب الوثنية يحيل النبوة والرسالة ونزول الكتاب السماوي.

قوله تعالى: (فكفروا به فسوف يعلمون) الفاء فصيحة، والمعنى فأنزلنا عليهم الذكر وهو القرآن الكريم فكفروا به ولم يفوا بما قالوا فسوف يعلمون وبال كفرهم وهذا تهديد منه تعالى لهم[73]. إن حال هؤلاء الكافرين، أنهم كانوا يقولون قبل مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأولين أى : لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل لكنا عباد الله المخلصين، لكن كفروا بعد نزول القرآن[74] من خلال صورة النص المبارك نجد توازناً في شكل النص بين قول الكفار وكفرهم بعد نزول القرآن.

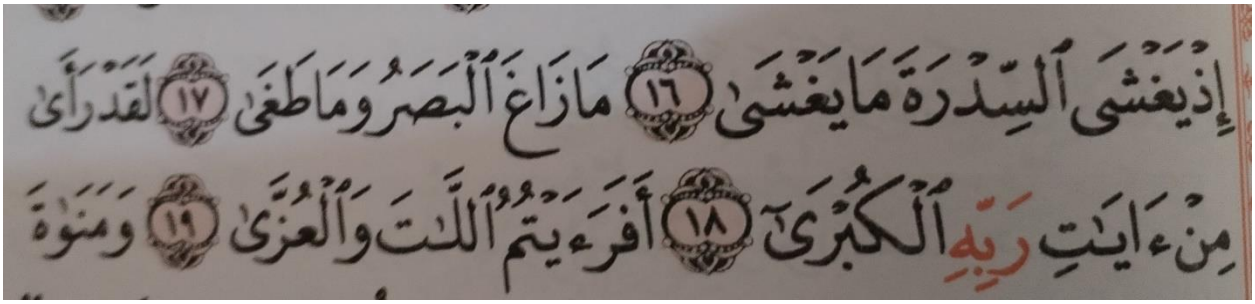
إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ

75

إذ يغشى السدرة ما يغشى: من حجب النور :ما زاغ البصر: أي ما عمي البصر عن تلك الحجب و ما طغى فرأى من آيات الله حيث رأى جبرئيل (ع) في صورته مرتين[76].فهو تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد ، وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها. ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى، وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا ، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها .أي والله لقد رأى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل إنها المعنية بما رأى .هي أصنام كانت لهم ، فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون . " اللات " بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج . والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها ، وأصلها تأنيث الأعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناة إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى . وقرأ ابن كثير مناة: وهي مفعلة من النوء فإنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركا بها[77] عبر صورة النص نجد تقابلاً بين يغشى البصر وما زاغ البصر. وكذلك التقابل بين رؤية آيات ربه ورؤية اللات والعزى.

الخلاصة والنتائج

تعد القرينة الخارجية موضوعاً حيوياً وفاعلاً ويمكن دراستهِ من جهات متعددة فكما أشبع بحثاً في الدراسات الأدبية واللغوية حاول البحث دراستها من الناحية التفسيرية. نزعم أنها ضمن الدراسات الحديثة في مجال تفسير القرآن الكريم إذ تعد القرينة الخارجية(الأيقونة) واحدة من أهم أعمدة تفسير النص من وجهة نظر البحث. فقد اكتفى البحث ببعض الشواهد. وقد جاء البحث بأهم النتائج منها:

1- القرينة الخارجية (الأيقونة) هي شكل النص مختلف من نص إلى اخر وهذا هو جزء من الإعجاز القرآني.

2- شكل النص يؤثر في فهم النص القرآني والوصول إلى المعنى المراد من النص

3- اختلاف شكل النص حسب معنى النص فهناك نصوص ذات شكل متناسق تدل على معنى واحد. وتوجد نصوص غير متناسقة تدل على معان متعددة مثلا عندما يصف الله تعإلى في كتابه الكريم عذاب جهنم.

4- قلة البحوث أو يكاد يندر أن تجد موضوعاً في البحث عن الأيقونة في دراسات تفسير القرآن.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

[1] . التبيان في تفسير القران، الطوسي: شيخ الطائفة ابو محمد بن الحسن (ت:460 هـ)، تح: احمد حبيب القصيرة، المطبعة العلمية، النجف الاشرف، 1376هـ -1956 470/2

[2] . أثر القرائن في توجيه النحوي عند سيبويه: لطيف حاتم الزاملي، الطبعة الاول، مؤسسة الانتشار7

[3] . العين، الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل ابن احمد (ت: 175هـ تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة، قم 1405هـ مادة (قرن)،

[4] . لسان العرب، دار الكتب العلمية – بيروت، 1424 هـ. . مادة (قرن)، 139/11 ابن منظور: جمال الدين بن مكرم (ت: 711 هـ)

5-التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، الكاظمية. 152 الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف (والسيد الشريف) (ت: 740 هـ)

[6] . ظ كشاف اصطلاحات الفنون: التهاوني: محمد بن علي الهندي (ت: 1158هـ)، تح: رفيق العجم، الناشر: مكتبة لبنان ، 575/3

[7] . البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، الناشر: مكتبة لسان العرب. د. تمام حسان، 10

[8] . مفردات في غريب القران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1381هـ -1961م. الراغب الاصفهاني: أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت: 502 هـ) 667

[9] . التبصرة في أصول الفقه، الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: 476هـ) تح: محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر-دمشق، الطبعة: الأولى38

[10] الجملة العربية والمعنى الناشر: دار بن حزم، سنة 2004: د. فاضل صالح السامرائي 60

[11] . الخلاصة النحوية: د. فاضل صالح السامرائي الطبعة: الأولى، الناشر: عالم الكتب، سنة 2000م 80

[12] . ظ أعلم الموقعين عن رب العالمين، القيم أبو عبد الله محمد(ت751هـ): ، 189/1 تح: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر مكتبة الكليات الازهرية، مصر –القاهرة 1968م: ابن

[13] . المستصفى في علم أصول الفقه، الغزالي: أبو حامد محمد (ت: 505هـ)، 41/2 تح: حمزة بن زهير حافظ، ناشر: شركة مدين احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –الطبعة الأولى

[14] . ظ مقاصد الشريعة الإسلامية ابن عاشور محمد بن طاهر (ت: 1393هـ)،140تح: محمد الحبيب ابن الخواجة، الناشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر

[15] . ظ المحصول: الرازي452/1 – البحر المحيط: الزركشي 391/3 – الاحكام: الامدي، 358/2

[16] . الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: 790هـ) ، 64/2 تح: مشهور بن حسن ال سلمان، الناشر: دار بن عفان، الطبعة: الأولى

[17]. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت(1094ه) 734 تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة -بيروت

[18] القرينة الخارجية واثرها في التوجيه النحوي: ايمان شعبان جودة 154

[19] . أساس البلاغة: الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، مادة (نصُّ).961، لسان العرب: ابن منظور، ج6، مادة (نص).

[20] . تاج العروس الزبيدي، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، ج18، مادة (نصُّ).

[21] . التعريفات:132

[22] . المصدر نفسه 133

[23] . الاحكام في أصول الاحكام، علق عليه: محمد محمد ثامر، دار الكتب العلمية.: ابن الحزم الاندلسي أبو محمد علي بن احمد بن سعيد ت(456ه) 42/1

[24] . ظ الابهاج في شرح المنهاج دار الكتب العلمية –بيروت،: السبكي أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي ت(756ه) 215/1

[25] . ظ ما هو النص: نهلة الأحمد 86

[26] . تجليات النص مسارات تأملية في سؤال الذات، ماجد الحسن، ص53.

[27] . الاسلوبية وتحليل الخطاب: منذر عياشي، 64.

[28] . ظ النص السلطة والحقيقة: نصر حامد أبو زيد 149

[29] . الفكر الاصولي واستحالة التأصل: محمد أركون 23

[30] . مفاتيح الغيب: ملا صدر الدين الشيرازي1 /85

[31] . ظ النص القرآني وافاق الكتابة: ادونيس35

[32] . العربية وعلم اللغة الحديث: د. محمد محمد دأود30

[33] . جمال الكلمة: د. خضر روبحي 11

[34] . الاعجاز التأثيري: د. خالد محمد القضاة 7

[35] . ظ الإسلام والفن الناشر: بناية كليوباترا –شارع دكاش –حارة حريك : محمود البستاني 24

[36] ظ النص القرآني: أودينيس 24

[37] . ظ المرجع نفسه25

[38] . ظ نظرية النظم: الجرجاني أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ): 198

[39] ظ العلامة تحليل المفهوم وتاريخ: امبرتو أيكو، تر: سعيد بنكراد 93

[40] ظ المسار الفلسفي لنظرية بورس السيميائية: 91

[41] ظ مدخل إلى السيميوطيقا: د. سيزا قاسم 31

[42] ظ تصنيف العلامات: تشارلز بيرس، تر: فريال جبوري 114

[43] ظ القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية: امرتو أيكو، تر: أنطوان أبو زيد 32

[44] ظ من العلامة إلى المعنى دراسة لسانية: درقاوي مختار 39

[45] ظ السيميائة في الدرس النقدي المعاصر: د. مراد مبروك 32

[46] ظ المسار الفلسفي لنظرية بورس السيميائية: 105

[47] ظ أسس السيميائية: دانيال تشاندلر، تر: د. طلال وهبه 85

[48] ظ نظرية التأويل: بول ريكو 79

[49] ظ أسس السيميائية: دانيال تشاندلر، تر: د. طلال وهبه 86

[50] . النبأ: 1 . 6

[51] ظ مفهوم الأيقونة في السيميائية: عبد المجيد العابد، منتدى كل العرب

[52] . الكافرون: 1 . 6

[53] . ظ: منة المنان في الدفاع عن القرآن، مطبعة النصار الله لطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ: محمد محمد صادق الصدر،140.

[54] . منة المنان: محمد محمد صادق الصدر، ص 141.

[55] . الغاشية: 8 -15

56. الميزان في تفسير القران، بيروت – لبنان، ط3، 1494 هـ -1974 م القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي ت(1402ه) 20/ 331.

[57] الشمس

[58] تفسير القران العظيم، دار احياء الكتب العربية، مصر ابن كثير: الفداء اسماعيل الدمشقي35/3.

[59] تفسير الميزان: الطباطبائي 345/2

[60] الهمزة

[61] تفسير المراغي 342/2

[62] في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة الأولى: سيد قطب 347

[63] الطور

[64] جامع البيان في تفسير القران، مطبعة الميمنة، مصر : الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 410 هـ) 22/ 450

[65] التبيان في تفسير القران، تح: احمد حبيب القصيرة، المطبعة العلمية، النجف الاشرف، 1376هـ -1956م: الطوسي شيخ الطائفة ابو محمد بن الحسن (ت:460 هـ) 402/9

[66] العاديات

[67] الميزان : الطباطبائي567/4

[68] ظ الأمثل في كتاب الله المنزل، مطبعة الأميرة للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1426هـناصر مكارم الشيرازي 20/ 391-396

[69] سبأ

[70] مجمع البيان في تفسير القران، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1415هـ:الطبرسي علي بن الحسن (ت: 548 هـ)

[71] ظ الصافي في تفسير كلام الله الوافي تفسير الصافي، مؤسسة الهادي – قم المقدسة ط1، 1416هـ: الفيض الكاشاني المولى حسن (ت: 1091هـ)

[72] الصافات
[73] الميزان: الطباطبائي124/6
[74] التفسير الوسيط : السيد طنطاوي413
[75] النجم
[76] البرهان في تفسير القرآن هاشم البحراني أبو المكارم أبن سليمان ت(1107ه)5/ 197حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية 2006م
[77] انوار التنزيل واسرار التأويل منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت ـ لبنان، ط1 ،1410هـ ـ 1990م.: البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد